

الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية مقارنة سوسيوتاريخية

أ. غرس الله عبد الصفيح،

أستاذ مساعد مكلق بالبروس بقسم علم اجتماع،
كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.

مقدمة

ارتبطت تشكيلة المجتمعات المغاربية تاريخياً بالزاوية كمؤسسة تنشئية مارست إنتاج الحياة الاجتماعية المغاربية وفق خصوصية متميزة ذات نزوع روحاني بارز كان له أثره في كل فعل اجتماعي مغاربي. هذه المؤسسة تمت ولادتها من رحم التجربة الدينية الإسلامية التي تفاعلت مع تركيبة الفضاء السوسيو-ثقافي.

لقد كان الإسلام الفضاء الذي تسبح فيه الحياة، ليس الحياة الدينية فحسب، بل أيضاً الثقافية وحتى الحياة الخاصة والحياة الاجتماعية والمهنية على حد تعبير Bourdieu (1). كل عناصر البنية التقليدية ومؤسساتها وأنماط الحياة قد صاغها الإسلام التاريخي الذي هو نتاج تفاعل بين الرسالة القرآنية ومجمل البنى العميقة للمجتمع الجزائري (2).

في ضوء هذا المنظور، الزاوية هي نتاج إسلام تاريخي ساد وتطعم من التركيبة المغاربية التي تفاعلت مع الرسالة القرآنية. وعليه أضحت الزاوية وكل إنتاجاتها الرمزية وثقلها المجتمعي الموروث، تمثل عمقاً أنثروبولوجياً في تشكيلة الذات الاجتماعية.

لاشك أن البحث في هذا الشأن سينصب حول الأصول التاريخية لنشأة مؤسسة الزاوية واتصالها بالمضمون الديني والروحي، بغية الكشف عن مختلف الدلالات المتضمنة في هذه الأصول.

أ. الدلالة الألفية :

ولعل من بين الدلالات المطروحة، نجد الدلالة اللسانية واللغوية التي تؤول إلى معاني ترتبط بالفعل، في الاستعمال اللغوي، وحتى في مجال السلوك الديني.

الزاوية من زوي مصدر زوى الشيء يزويه وزياً و زوياً. فانزوى أي نحاه ففتحى، وزواه قبضه، وزويت الشيء جمعته وقبضته. اشتقت عبارة الزاوية من فعل يحيل على الضدين، فيفيد أزال من جانب، وجمع من جانب ثاني.

وأضاف صاحب اللسان : الزاوية واحدة الزوايا. ومن المعاني المتصلة بفعل زوى معنى القرب، وقد ورد في حديث عمر بن الخطاب : كان له أرض زوتها أرض أخرى، وهي معنى الإحاطة بالشيء وفي المظهر المحسوس. وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء، إذا فسد الناس والذي نفس أبي القاسم بيده

ليزوي أنّ الإيمان بين هذين المسجدين كما الحبة في جحرها، قال شمر لم أسمع زوّات بالهمز والصواب ليزوين أي ليجمعن وليضمّن.

وفي الحديث أيضاً كما ورد في لسان العرب أنّ رسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرًا آمال براحلته ومدّ إصبغه وقال اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل : اللهم اصحبنا بنصح وأقلبنا بدمة ، اللهم زوّلنا الأرض وهون علينا السفر(3).

فليست الزاوية في المعنى اللغوي، بما في اللغة من حالات نفسية واجتماعية، هروباً من الحياة واختيار التنسك، بل هي تأليف بين ضدين : التحني والقبض، ولا يؤدي التعبير عن الضدين إلّا الألفاظ التي تلخص في الواقع الاجتماعي، تجربة أصلية بل بلوغ أقصى بالتجربة.

ويتأكد فعل الزاوية من الناحية اللغوية بالسياق الديني المميز بين المراحل الزمانية فتصبح الزاوية ضرورة عقدية، وذباً عن البيضة(4). إنّ الدلالات اللغوية في المادة المعجمية حيث الاستعمالات المختلفة وبالأخص الاستعمال الديني الذي شكل مجالا تشهد له نصوص نبوية، توحى كلها عن معاني الفعل الذي كان سائداً في المرحلة الأولى؛ مرحلة الإسلام الأول، المعاني التي تهيكلت وانتظمت وتجسدت في فضاء مؤسسة الزاوية وأدوارها التي كانت منوطة بها قبل تشكل الزاوية لأداء وظيفتها المجتمعية.

كان الأداء قائماً كقيمة متجسدة في الفعل الاجتماعي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية La Socialisation التي كانت سائدة في البدايات الأولى لتشكيل المجتمعات الإسلامية، وفق القيم الجديدة، ثم وجدت هذه العملية فضاءها في الشمال الإفريقي والمجتمعات المغاربية بالخصوص حيث تم إرساء قواعد الزاوية، وانبثاق هذه الأخيرة لأداء هذه العملية بصورة تستجيب لخصوصية الفضاء وتركيبته الاجتماعية.

ب. الدلالة الإنشائية :

هناك إحالات حاولت ربط أساس بناء الزاوية ونشأتها بمختلف الأسس، منها شخصية الولي المتبتل والمنقطع عن الدنيا أو الباحث عن الحقيقة الإلهية في الفضاء المعزول، يجد فيه مكانا للتأمل والاسترسال الفكري ... الإحالات متعددة وكلها تنتهي إلى التعالي (5) Le transcendantal.

ولما كان هذا الفضاء مقراً للطريقة تتحول الزاوية إلى مكان اجتماع المريدين لأداء الممارسات الطقوسية كالذكر والصلاة. من هنا، الورثة الروحانيون للولي، يتلقون علماً يكتسب من الممارسة الروحية والاتصال العرفاني.

وفي نفس التوضع وخارج هذا السياق الوظيفي المرتبط بالاتصال العرفاني للفئة الخاصة (المريدين)، تمارس الزاوية انفتاحاً عريضاً على كل الفئات والشرائح الاجتماعية، ليس هناك أي منع أو قيد لا على سن ولا على جنس أو دين، يتخذ الولي حينئذ صورة كونية ويجسد المكان هذا الرمز.

لعلّ من أهم الدلالات الكامنة في الزاوية كمظهر جوهري ومكون للعمق الأنثروبولوجي Le Fond Anthropologique لمجتمعاتنا، هو تمثيلها في إطار مفهوم المكان دور النواة الثقافية التي بفضلها تم التخزين والحفاظ على الكثير من البقايا التاريخية والمعرفية. فقد أنقذت الزاوية ما استطاعت إنقاذه من آثار الماضي والصور السحيقة في التاريخ. دائماً في إطار مفهوم المكان وما يحمله من معنى قامت ببناء ذاكرة رجالات الاسلام وتحيين حضورهم ، ومقاومة زمن النسيان .

ومن خلالها أيضاً، تم نسج الرابطة الاجتماعية Le Lien Social والاعتراف الاجتماعي La Reconnaissance Sociale بالآخرين، و تشكيلها الملاذ الذي تأوي إليه كل الفئات والشرائح المهمشة، ومن جهة أخرى تعد الزاوية إطاراً للزمن الجماعي حيث تحتضن الأجواء الاحتفالية، الزيارات، المولد النبوي ومظاهر أخرى. يصبح هذا المكان يستقطب كل النشاطات بما فيها الدينية (6).

لقد استطاعت بعض المقاربات الأنثروبولوجية أن تؤسس منظومة معرفية غنية حول ظاهرة الزاوية في المجتمعات العربية والإسلامية في طورها التقليدي. انطلاقاً من مفاهيم المكان والفضاء ومحمولاتها الثقافية والتاريخية والاجتماعية. فالزاوية كمكان تعني التمتع بعيداً عن الإختلالات، والاضطرابات القائمة في العالم الدنيوي، فهي إذن تشكل زاوية لرؤية العالم (7).

وفي الزاوية، يجتمع الأفراد لتلبية حاجات ذات طابع دينية، فهي مؤسسة دينية ، تحمل مجمل تعابير المقدس، كالصلاة المفروضة والنافلة، الذكر، السماع؛ مؤسسة تدير وفق نظام الطريقة المؤدي إلى الحقيقة، إذ يشكل مفهوم الحقيقة حاجة أساسية قائمة لدى مرديها، فهي إذا فضاء الحقيقة، يشغل على آليات الانفتاح الاجتماعي الذي يستلزم رؤية خاصة للعالم من زاوية الحقيقة، وهي في النهاية جمع بين الروحي والزمني معا ، في لحظة يصعب الفصل بينهما.

يشير عادل فوزي في توطئته للملتقى حول : أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر نوفمبر 1999، إلى أنّ الزاوية هي أحد عوالم التنشئة والإدماج، مختلفة عن تلك التي تشترطها البنى الجديدة، وفي تصوره علم الاجتماع- الأنثروبولوجية كفيل بأن يقدم إجابات عميقة، متجاوزاً طرح علم الاجتماع الكلاسيكي الذي صاغ مجموعة إجابات مغلقة، في إطلاق أوصاف منتزعة من شاكلة (التنمية، التطور، التقدم، الحداثة ، ...) التي تبدو اليوم مهجورة (8).

يتحول بحث الزاوية، في ظل التحولات التي يشهدها مجتمعا، إلى موضوع للدراسات السوسيو- أنثروبولوجية، للكشف عن دلالات النسق التقليدي، الحاضرة والمتفاعلة مع الأنماط الحديثة، وتخوم الالتقاء والاختلاف مع محيطات ثقافية وحضارية أخرى.

ج. الزاوية – التاريخ :

لقد شهد التاريخ الإسلامي والمغاربي، منذ العصر الوسيط إلى غاية الاحتلال، هيمنة كبيرة وانتشاراً واسعاً للزوايا. فقد كانت تمتد منذ ظهورها اجتماعياً وسياسياً وجغرافياً، حتى أضحت الفعل التاريخي المسيطر في المجتمعات المغاربية.

أصبحت (9) الزاوية قائمة في العمران الحضري ثم انتقلت لتهيمن على العمران البدوي وتبسط نفوذها الاقتصادي والسياسي. وبهذا التمكن الاجتماعي تحولت إلى ظاهرة ارتبطت بتاريخ المجتمعات

المغربية وتشكيلاتها. وكما أشرنا سالفاً، الزاوية الآن باتت مدخلاً حيوياً للذاكرة حيث يسكن المخزون الثقافي والمسار التاريخي بكل تلوناته ومنعرجاته وطبقاته الزمانية.

أما الزاوية - التاريخ فهي عنصر حيوية مجتمعاتها والمركز الذي تتحدد منه كل الأطراف الاجتماعية. ثمة علاقة وطيدة بين الزاوية والتاريخ، ذلك ما جعلنا نطلق عليها الزاوية - التاريخ. ولعل في تصورنا كانت تاريخية المجتمعات المغربية تنبعث من رؤية هذه الزاوية وما أدراك ما هذه الرؤية؟ إنها رؤية مشحونة بقيم القداسة وتجليات المقدس. فالزاوية في مفهوم صوفية العصر مضمون قبل أن تكون بناية، ووظيفتها الأولى تعميق الشعور الديني وبث مبادئ التصوف العملي وتعميم التوعية الجهادية لدى الجماهير (10).

فقد كانت لها وظيفة هامة في تاريخ الإسلام، يتجلى هذا بوضوح في تلك التراجم والمؤلفات الغزيرة التي صيغت حولها، وترجمت لمشايخها، والحضور المتميز لأدوارها التي اكتستت الفعالية والتأطير الناتجين من السلطة الرمزية التي اقترنت بها الزاوية ذات المرجعية الروحية المرتبطة بمفهوم الولاية في مقابل السلطة الزمنية السائدة في كل ذلك التعاقب الدولي الذي شهده تاريخ الإسلام السياسي.

لقد كانت تمثل، على مستوى المجتمعات المغربية، مجال الإنتاج الذاتي Auto-Production للمجتمع وقيمه وأنماط حياته، محاولةً رأب كل التصدعات السياسية التي شهدتها النظام السياسي التقليدي، من صراعات وتناحرات وتأكل للبنية المجتمعية، كتعبير عن أزمة السلطة وإشكالية السياسي في موروثنا التاريخي الذي لا تزال تداعياته منتصبة في الحاضر (11).

الزاوية - التاريخ أدت الوظيفة المجتمعية بكل أبعادها وحقوقها السياسية والاقتصادية والروحية، يمكن رصد وظائف محددة للزاوية - التاريخ.

أ. الوظيفة الماكرو-سوسيولوجية :

تتحدد هذه الوظيفة من خلال الانتشار الضيق أحياناً، في فضاءات جغرافية واجتماعية معينة، من العالم العربي والإسلامي، في جهات مخصصة : بدوية، حضرية، القبلية، الحبي، ... مكونة بذلك نسقا مستقلا يجمع مجموعة من الأفراد، يجعلهم ينصاعون لهذا النسق ويمثلون تركيباً لهذه الأطر الاجتماعية، وأحياناً أخرى يكون الانتشار واسعاً ليشمل مساحات كبيرة متعددة الجهات والأقطار، مكونة هيكل اجتماعي يستجمع أفراداً، وفي بعض الأحيان، يكون التجمع على أساس تقليدي، عائلي أو أوساط متشابهة إلى حد كبير. كبورجوازية الأسواق، وأصحاب الأملاك، وأيضاً رجال العلم التقليدي أيضاً.

ب - الوظيفة الميكرو-سوسيولوجية :

تتأسس من ارتباط فرداني، يجمع بين الشيخ الحائز على الحكمة والمعرفة والمبتدئ، ينقله خطوة خطوة إلى درجات في طريق كثيرة المحطات، تتضمن هذه الوظيفة بعداً سيكولوجياً، تبدو من خلاله الزاوية ملجأ قاراً ودافئ للأفراد الوحيدين الذين يقفون بين إكراهات الوسط الاجتماعي، وحاجاتهم الوجدانية. حيث يتحقق لهم الكثير من الأمن والحماية إضافة إلى الجاه الاجتماعي (12).

تشير المصادر التاريخية المتوفرة أنّ البدايات الأولى لظهور الزاوية كانت في القرن 14م. وبالذات في المنطقة المغربية (13)، وقد أورد الرحالة ابن بطوطة المغربي 1377م في كتابه الرحلات، ذكر الزوايا وانتشارها في المغرب العربي وقيامها بمهام التكفل بالمسافرين والحجاج اجتماعياً ودينياً.

ويضيف أيضاً تمثل الزوايا كتنظيمات عبور وانتقال بين الأقطار الإسلامية يؤمها المنتقلون. وقد كانت الزوايا، كما يصف ابن بطوطة(14)، فضاء مفتوحاً يضم قاعة للمسافرين ومصلًى، وضريحاً لولي يقصده الناس للزيارة.

وفي رواية ابن مرزوق التلمساني المتوفى عام 1399م، الذي خصّ الفصل الثاني والأربعين من رسالته عن أبي الحسن على السلطان المريني المسماة المسند الصحيح الحسن(15)، بالكلام عن الزوايا التي شيدها هذا السلطان وقد ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في الشرق باسم الرباط أو الخانقاه.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أنّ كلمة رباط(16) تستعمل في مراكش للدلالة على المنشآت التي يوجه فيها النشاط العسكري. ولا شك أن صوامع الزاوية الأولى قد نمت سريعاً ولم تصبح أماكن يفزع إليها الناس هرباً من الدنيا فحسب، بل أصبحت أيضاً مراكز للحياة الدينية والصوفية حيث عمل العلماء من غير رجال الدين من الفقهاء، الذين كان التصوف وتقريبه إلى أذهان الناس شغلهم الشاغل.

فأصبحت الزوايا آنئذ مراكز تستهوي قلوب الناس ومدارس دينية، كما أصبحت إلى حد ما دور ضيافة مجانية يقصدها الرحالة الذين يبحثون عن الكمال الروحي. وهذا ما يفسر لنا قول ابن مرزوق في كلامه عن الزوايا في زمنه "من الواضح أنّ الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين وتطعم المسافرين".

وقد كان للزوايا عند مسلمي المغرب، علاوة على شأنها الديني والعقلي، أثرٌ سياسي مباشرٌ على أهل البلاد في المناطق البعيدة عن مقر السلطة المركزية، وأبرز مثال على ذلك الزاوية الدلائية في ناحية تادلا في مراكش الوسطى على ضفاف أم الربيع. إذ استغل مشايخها القلاقل التي أعقبت سقوط الأسرة السعدية في النصف الثاني من القرن 17م. فعملوا على بسط سلطانهم الدنيوي على الجزء الأكبر من هذه الناحية التي كانت تابعة لفاس، ومن الأمثلة في الأزمنة القريبة من ذلك عهداً، زاوية ايلغ البربرية في تازرولت وزاوية حنصال في منطقة الأطلس الوسيط(17).

وفي النصف الثاني من القرن 14م. شهد العالم الإسلامي تغيرات عميقة وبالأخص في الفضاء المطل على البحر الأبيض المتوسط، كانتشار الأمراض المعدية، وتهلّل البنى السياسية، وضعفها في التأثير على مراكز السلطة الموزعة، و أصبحت تشكيلة البدو الرحل صعبة المراقبة، وصارت المدن مغلقة(18) على نفسها و مكتضة من جراء تدفق البدو للبحث عن الحياة الآمنة.

في ظل هذه الظروف، قامت شبكة الزوايا بأدوار أكثر أهمية، مقارنةً من ذي قبل، إذ ارتبطت مهامها بشرائع اجتماعية واسعة، عكس ما كان سائداً، حيث كانت محصورة في إطار خاص. في هذا الطرف التاريخي العصيب كان هناك إقبال كبير من الناس نحو الزوايا، طالبين الحماية والبركة الإلهية التي تسمح بالاقتراب من الله.

لقد تمّ كثيراً ربط الزوايا في هذه الفترة بالتصوف الشعبي، غير أنّ الظاهرة كانت بداية اجتماعية حيث شكلت الزوايا المنتشرة على الطرق الواصلة بين المدن رابطاً لعملية التمدين المهددة من قبل فلول القبائل البدوية.

استطاعت حركة الزوايا، في هذا العصر، التحكم والسيادة في المجال التعليمي والديني، بالرغم من وجود نماذج أخرى كالمدارس التقليدية والمساجد، غير أنّها تمكنت من احتواء هذا المجال واستقطاب نشاطاته، خصوصاً في نهاية القرن 17 م، حيث شهدت امتصاص أدوار المساجد(19) والمدارس العلمية

والدينية، وتكاثرها المشهود على المستوى الحضري والريفي معاً؛ لقد أثبتت الإحصاءات التاريخية في المجتمع الجزائري أنّ عدد الزوايا والأضرحة ونحوها كان يفوق عدد المساجد والمدارس، فقد كان بتلمسان ونواحيها أكثر من 30 زاوية، والذي يدرس كتاب البستان لابن مريم (20) يعثر على أكثر من هذا العدد رغم أنه كتبه في بداية القرن 17م.

وفي عهد صالح باي كان في قسنطينة 13 زاوية، وهو عدد لا يشمل بالطبع الزوايا المحيطة بها. وقد كان في عنابة وجبابة وزواوة أعداداً مشابهة (21).

وتشير الدراسات الكولونيالية التي تمت في مرحلة الاحتلال الفرنسي، إلى الوجود المجتمعي المتميز لحركة الزوايا وتركيباتها، وأول دراسة تمت في هذا الصدد قام بها Capitaine Neveu (22) عضو اللجنة العلمية حول المقاومة الجزائرية، في دراسة هامة سنة 1845م حول الاتجاهات الدينية وتنظيماتها.

يكشف Neveu عن "تعددية المهام وتشعب هذا التنظيم، ويصف الزاوية على أنها مؤسسة ليس لها مثيل في الأوساط الغربية، فهي عبارة عن مصلى، وفي نفس الوقت تابعة للعائلة التي قامت بتأسيسها، حيث يأتي المريدون المرتبطون بالعائلة للزيارة في أوقات مخصصة، وهي أيضاً مسجد يجتمع فيه مسلمو القبائل المجاورة لأداء الصلاة جماعياً، كما أنها مدرسة تدرس مختلف العلوم القرآنية، الكتابة، الحساب، الجغرافيا، التاريخ، الكيمياء، السحر، الفلسفة والتوحيد للأطفال طول السنة وللطلبة في مواسم معينة، والعلماء في أوقات خاصة فهم يجتمعون لأجل تعلم ما يجهلونه أو لإثارة نقاشات حول مسائل قانونية فقهية، تاريخية، وعقائدية" (23).

ويعد هذا المكان ملجأ لكل المطاردين قانونياً، أو الفارين من الأعداء، وهي أيضاً مركز صحي، ونزل لكل المسافرين الحجاج، المرضى والعجزة، والميؤوس من علاجهم، يجدون المأوى، النجدة، الملابس، والأكل، فهي مكان للتعبير العام والإعلان المتبادل بين الناس، ويتم فيه كتابة تاريخ الحاضر. وفي النهاية هي مكتبة تغنى باستمرار من كتابات الرجال المرتبطين بها من أجل المحافظة على التقاليد المكتوبة لأحداث الماضي.

ودائماً في إطار الأبحاث الكولونيالية، يأتي من بعد Neveu ضابط آخر L. Rinn (24) "ليؤكد انتشار الزوايا والظاهرة المرابطية في شاكلة صوامع وجامعات في نفس الوقت على طراز العصر الوسيط، ويسجل Rinn L. أنّ التعصب كان نادراً لدى هؤلاء".

ويدرس في الزوايا اللغة العربية الكلاسيكية، أحكام القضاء، واللاهوت، والدراسات الكيميائية، والكتابات الطبية لابن سينا). تؤكد هذه النصوص وغيرها مجموعة أدوار كانت على عاتق الزاوية شملت ما هو ديني وثقافي واجتماعي في آن واحد.

غير أنّ الوظيفة الدينية للزاوية ارتكزت على ترسيخ النزعة الجماعية عن طريق الحرص على إحياء احتفالات ومناسبات دينية، كتجسيد للفعل الجمعي المبني على روحانية أساسها التطهير، وإيجاد نوع من الوجود الآمن للمريدين. هذه الوظيفة الدينية الجوهرية في تنظيم الزوايا تعززت بالوظيفة الثقافية التي أشارت إليها نصوص الدراسات الكولونيالية والتاريخية، وأدت هذه الوظيفة الثقافية إلى توسيع دائرة مجال الفعل الديني للزاوية الذي ارتكز في مظهره التعليمي على النصوص المقدسة فهماً وتفسيراً،

والنصوص الفقهية للمذهب المالكي كمختصر خليل ولقيت هذه الوظيفة تكميلاً من الوظيفة الاجتماعية والمشار إليها في النصوص والدراسات الكولونيالية.

تؤكد هذه النصوص وغيرها مجال حضور الزاوية المركزي في تاريخ المجتمعات المغاربية، وارتباط أدوارها ومهامها بالمضمون الروحي والديني الذي كان هو الأصل في وجودها، والذي تحددت منه كل الأنشطة التعليمية والثقافية، فلم تكن العملية التربوية مفصولة عن كل الأبعاد المجتمعية الأخرى وإنما كان تجسدها في الحياة الاجتماعية قائماً على انفتاح هذه المؤسسة التقليدية على المجتمع، فالزاوية كموقع جغرافي، وهندسة معمارية، ونظم من العلامات والرموز والإحياءات، كانت تصنع معنى التوحد لعالمَي المقدس والديني /الروحي والزمني، وهذا ما يبدو في الظاهر بعيداً عن المقاربة الدوركايمية التي تفترض الفصل النهائي بين العالمين.

لكن هذه المؤسسة التقليدية، وبفعل التحولات البنيوية التي شهدتها مجتمعا في سياق تاريخي محدد، فقدت تموضعها المركزي والحيوي وتزحزحت مكانتها إلى الهامش، نتيجة ظهور مؤسسات تحديثية جديدة كالروضة والمدرسة والجامعة، التي امتصت الكثير من مهامها وكرست منطق الفصل إلى حد بعيد بين الروحي والزمني.

وفي الأخير نفترض أن عودة الزاوية بنفسٍ جديد قادر على المساهمة في إعادة تمتين وتقوية الروابط الاجتماعية التي تعرضت إلى الكثير من التفسخ والتفكك، وجلب الأمن الاجتماعي المفقود والتأسيس للأصول التي يمكن في ضوئها إزاحة ما يسميه داريوش شايفان أوهام الهوية.

ونظام الزاوية أيضاً جدير على تقديم بدائل للطروحات الدينية المحلية، التعليمية منها والإرشادية، تتسجم مع خصوصية تركيبة المجتمع وتستجيب لحاجاته ومتطلباته.

لقد عايننا الكثير من الخطابات الدينية الوافدة إلينا التي ولدّت صراعات حادة أوجدت أزمة في المسألة الدينية عندنا كادت تعطل وظيفة الديني في مجتمعا.

في النهاية، نتصور أن غياب هذه المؤسسة، وعدم استثمارها في فضاء الحياة الاجتماعية وتطويعها لتكون مستوعبة للتغيرات الجارية، أوجد مناطق فراغ في جيوب حياتنا الفردية والجماعية، وأتصور أن صاحب الحسّ الأنثروبولوجي المعاش لتفاصيل وحيثيات اليومي والاجتماعي يلمس هذا المعنى ويدرك وجوده، ورغم أن الحياة الاجتماعية تأبى الفراغ إلا أنه ثمة مناطق ومفاصل تتغلف بأغلفة خارج المقاس.

الهوامش:

1- P. Bordieu, Sociologie de l'Algérie, Editions Dahlab, PUF 1996. P 96.

2- Op. Cit. P 98.

3- ابن المنظور : لسان العرب، ج 14، ص 364.

4- كمال عمران : الثقافة الإسلامية مظاهر التجريب والتجريد. الدار التونسية للنشر 1992. ص 70.

5- Abderrahmane MOUSSAOUI : Logique de Sacré et Mode d'Organisation de l'Espace dans le Sud Ouest P 131.

6- Op. Cit. P 132.

7- Abderrahmane MOUSSAOUI : Structure des Champs Religieux en Algérie. URASC. Université d'Oran. 1987. P 05.

8- عادل فوزي : توطئة للملتقى الدولي حول "آي مستقبل للأنثروبولوجية في الجزائر"، نوفمبر 1999. CRASC.

9- Abdellah LAROU : Les Origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain 1830-1912. Centre de la Culture Arabe 1993. P 67

10- محمد القبلي : مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر. دار البيضاء المغرب 1987. ص 122.

- 11- Jean-Paul CHARNY : Sociologie Religieuse de l'Islam. Editions Sindibad 1977. P 230.
- 12- Op. Cit. P 232.
- 13- شمة مصدر تاريخي يؤكد أن أول ظهور للزاوية كان في المغرب العربي : أنظر أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة الثامنة في بجاية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981. ص 137.
- 14- Ibn-Battûta : « Voyage et Périple (Rihla) ». In voyage Arabe. Gallimard 1995. P 400.
- 15- ابن مرزوق التلمساني: المستند الصحيح الحسن في مآثر مولان أبي الحسن، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع 81. ص 116.
- 16- دائرة المعارف الإسلامية. مادة الزاوية. ج 10. ص 232
- 17- المصدر السابق. ص 233.
- 18- Alexandre POPOVIC et Gilles VEINSTEIN : Les voies d'Allah. Editions Fayard 1995. P 221.
- 19- Houari TOUATI : Entre Dieu et les hommes. Editions de l'école des hautes études en science sociales 1994. P 43.
- 20- ابن مريم الشريف التلمساني : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم طالب عبد الرحمن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985.
- 21- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي ط1 1998. ج2. ص 267.
- 22- E. de NEVEU : Les khouans – Ordre religieux chez les musulmans d'Algérie. Paris 1845.
- 23- LALAOUI A.: Zaouia et confrérie : histoire et impact sur la société algérienne exemple de l'ouest algérien. P76.
- 24-L. RINN : Marabouts et Khouans. Etude sur l'Islam en Algérie. Adolphe Jourdan Alger 1884. P18.